Arrasikhun International Journal, Volume 4, Issue 1, June 2018
ISSN: 2462-2508

# البديع بين علوم البلاغة والقرآن الكريم

أشرف حسن محمد حسن الدبسي[1] ،محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي[2]
جامعة المدينة العالمية، كوالالمبور، ماليزيا
ashraff.mohammad@mediu.edu.my

**الملخص**

هذا البحث يتناول منزلة علم المعاني بين علوم البلاغة العربية ودوره في إظهار إعجاز القرآن الكريم، وتكمن مشكلة هذا البحث في كون علم المعاني لم يحظ بالاهتمام الكافي للدراسة بين علوم البلاغة؛ فكان هذا البحث يظهر هذا الدور الكبير الذي يساعد في إظهار المعنى وبيان المقصود منه عن طريق تجميله وعرضه في أحسن صورة، وذلك عن طريق المنهج الوصفي، وخلص البحث لبعض النتائج التي ربما تساعد الباحثين، ومنها: فتح طرق وإنارة دروبٍ لملتمس البديع والباحث عنه، والعلم بأن للبديع منزلة كبيرة في مجال الدراسات الإسلامية لما له من دور بارز في التعرف إلى أسرار القرآن ودلائل إعجازه، لا تقل شأناً عن منزلة أخويه من علمي المعاني والبيان، انفصال ألوان علم البديع مما فكل لون منها مستقل عن صاحبه مما يعطيها تميزًا، وذلك بخلاف ألوان البيان التي نجدها متشابكة، وكذلك بلاغة القرآن وبديعه تطورت من دراسة لغوية إلى دراسة بلاغية على يد بعض المفسرين والأدباء الذين لم يتركوا مؤلفًا في كتب بلاغة القرآن إلا ذكروا فيه بعضًا من الأنواع البديعية وبيانها في القرآن والتمثيل لها بآياته، وكان غرض الدارسين في كل ما سبق الكشف عن إعجاز القرآن، والغرض من ذلك كله ألا تكون المحسنات البديعية منسية بين علوم البلاغة العربية.

**الكلمات المفتاحية:**

البديع –محسنات علوم البلاغة –إعجاز القرآن.

# Al - Budaiya between the sciences of rhetoric and the Holy Quran,

Ashraf Hassan Mohamed Hassan Aldbsi1, Mohamed Shehata Abdel-Hamid El-Sharkawy2
Al-Madinah International University, Kuala lumpur, Malaysia
ashraff.mohammad@mediu.edu.my

**Abstract:**

This study deals with the status of the science of meanings between the sciences of Arabic rhetoric and its role in showing the miracle of the Holy Quran. The problem of this study lies in the fact that the science of meanings did not receive enough attention to study between the sciences of rhetoric. This study shows a great role that helps to illustrate the meaning of it. The study concluded that some of the results might help for further study; including: opening roads and lighting the path of the seeker of Budi. The knowledge of Al-Badi'a is a great place in the field of Islamic studies. Because of its prominent role in the identification of Secrets of the Quran, and evidence the difference between the deep meaning of the statements. Which we find intertwined, as well as the rhetoric of the Holy Quran and its deception. That evolved from a linguistic study to a rhetorical study by some the interpreters and writers. They did not

leave an author in the books of the rhetoric of the Holy Quran, but mentioned some of the types of fictitious and statement. Representation of the verses, and the purpose of scholars in all of the above disclosure of the Holy Quran miracle. The purpose of all of this is not the benevolent enhancers forgotten among the sciences of Arabic rhetoric.

**Key words:**

Al - Budaiya - Enhances the Sciences of rhetoric- Holy Quran miracle.

**تمهيد:**

ظهرت في الآونة الأخيرة اتجاهات تركز على البيان والمعاني دون البديع وهذا الاتجاه دعا بعض المؤلفين إلى التأليف في المحسنات البديعية التي عدت منسية في عصرنا ونظرًا للدور الذي قام به علم المعاني في توضيح المعنى وإظهاره بشكل جميل يحسن في الأفهام ويجمل في الآذان دعت الحاجة إلى إلقاء الضوء على هذا الفن البلاغي ومنزلته بين علوم البلاغة، ودوره في بيان إعجاز القرآن عن طريق العلماء الذين تناولوه في كتبهم. والله من وراء القصد.

**مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في نظر بعض من أهمل دراسة علم المعاني وجعله في منزلة أقل من علمي المعاني والبيان، وفي أغفال البعض لدور علم البديع في بيان إعجاز القرآن ووجوده الكبير في مؤلفات العلماء.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى عدة أمور:

1. إلقاء الضوء على هذا العلم الذي أسهم في بيان جمال القرآن الكريم ورعته.
2. بيان منزلة علم البديع بين علوم البلاغة.
3. الرد على بعض من يظن أن علم البديع ليس كعلمي البيان والمعاني.

**منهج البحث:**

اعتمد البحث على المنهج الوصفي في عرض المشكلة في محاولة لجعلها واضحة أمام القارئ؛ لتتضح الصورة كاملة، ولا يخلو الأمر من تعرض لمنهج تاريخي عند الحديث عن تطور هذا الفن.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد. فإن اللغة العربية لغة حية، فقد كان من الطبعي أن تجد نفسها على مدى العصور في حالة بحث دائم عماً يلبي حاجات أبنائها المتجددة أبداً تبعاً لسنة التطور، وإذا كانت اللغة موروثاً يملكه الفرد والجماعة على السواء، فلا مفر من تنميته بالانقطاع لتوظيفه في مجاله الطبعي بما يعود بالخير والنفع على أبنائه، ومن هنا كان سهر أبناء الأمة من أهل الفكر والأدب والشعر عبر الأجيال على رصد مخزونهم اللغوي، والوقوف على ما يمكن أن يكون قد لحق به من نقص أو ضمور بفعل مستجدات الحياة؛ لمده بدماء جديدة تكفل له الزيادة والرقي والصمود في وجه كل طارئ، ولا عجب فكل واحد من أبناء الأمة لا بد وأن يحافظ على تراث أمته.

والبلاغة هي ملتقى علوم اللغة وأشرفها، فالمرتبة الدنيا من الكلام هي التي تبدأ بألفاظ تدل على معانيها المحددة، ثم تتدرج حتى تصل إلى الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، وقد قيل: إذا تكلم المرء بلغة ما فهو يحدد هويته الحضارية

والإنسانية، وإذا امتلك لغته، حدد مركزه في المجتمع، فاللغة وإن كانت وسيلة للتعبير عن الفكر، فهي تمثل الفكر كله، ولا عجب بعد ذلك إذا تحققت أسباب التطور والرقي نتيجة العناية بها.

من ثم تقوم اللغة بدور الوسيط الاجتماعي، ونجحت في تحقيق الاتصال والتواصل بين الناس، وكان أكثرهم قدرة على التأثير في نفوس سامعيه هو من يمتلك مهارة الكلام، ويستعمل لغته بمرونة وطواعية في مختلف المجالات، وكانت الفعالية الاجتماعية ترتبط بالبلاغة، وهذه لم تكن تحتاج إلى أي أساس مادي بل تشترط قوالب تعبير بلاغية جيدة عند المتكلم؛ ليصنف بها من بين المؤثرين في المجتمع.

وقد ذكر كثير من العلماء وجوهاً عديدة لبيان إعجاز القرآن الكريم، كالتنبؤ بالمستقبل، وذكر أخبار وقصص الأولين وأحوالهم، والإشارات إلى الاكتشافات العلمية والدقة العددية وغيرها الكثير، غير أن هذه الوجوه لم يجمع على صحتها العلماء، وإنما وجدوا في كل وجه منها ثغرة تنفذ منها أقوال المعارضين، ولكن الوجه الأمثل في سبب إعجاز القرآن الكريم الذي لم يجد سبيلاً إلى الطعن فيه أحد، هو الإعجاز البلاغي للقرآن الذي يتمثل في كل سورة، ولم تتخلف عنه سورة واحدة سواء كانت طويلة أم قصيرة [1]

وفي هذا البحث سوف نتناول فيه سورة واحدة من سور القرآن الكريم بمشيئة الله تعالى ودراستها بعد التعرف إلى علم البديع، وسنعرض لها بالتحليل وفق علم البديع وقواعده، وأصول فنونه وأدواته، وقد قسمته إلى عدة مباحث، المبحث الأول تناولت فيه نشأة البديع وتطوره، والمبحث الثاني: تناولت فيه جهود المعنيين بعلم البلاغة تناولت فيه فنون البديع بعد أن نتطرق إلى توضيح علم البلاغة بشيء من التفصيل، المبحث الثالث... المبحث الرابع منزلة البديع، أقسامه، وألوانه، المبحث الخامس من بديع القرآن.

**المبحث الأول:**

البديع: نشأته وتطوره:

البديع: لغة إيجاد الشيء واختراعه على غير مثال سابق قال الله تعالى (بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) [2]، فمعنى إبداع السماوات والأرض: خلقهما وإيجادهما على غير مثال سابق كما يطلق على الجديد المحدث وعلى الشيء العجيب الغريب يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سجية تلك فيهم غير محدثة *** إن الخلائق فاعلم شرها البدع [3]

و" بدع: في أسماء الله تعالى:" البديع"، هو الخالق المخترع لا عن مثال سابق، فعيل بمعنى مفعل. يقال أبدع فهو مبدع. وفيه: أن تمامة كبديع العسل، حلو أوله حلو آخره البديع: الزق الجديد، شبه به تمامة لطيب هوائها، وأنه لا يتغير كما أن العسل لا يتغير، وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان:" نعمت البدعة هذه" البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به; لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: من سن سنة حسنة

(1) القزويني، الخطيب القزويني، في **الإيضاح في علوم البلاغة:** ص 255، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424/203هـ

(2) سورة البقرة: آية 117

(3) ابن منظور، **لسان العرب:** مادة "بدع".

كان له أجرها وأجر من عمل بها وقال في ضده: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه. لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدحها; لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها و لم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقوله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر كل محدثة بدعة إنما يريد ما خالف أصول الشريعة و لم يوافق السنة. وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذم.

وفي حديث الهدي: فأزحفت عليه بالطريق فعي بشأنها إن هي أبدعت يقال أبدعت الناقة إذا انقطعت عن السير بكلال أو ظلع، كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعاً، أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها. ومنه الحديث:" كيف أصنع بما أبدع علي منها"، وبعضهم يرويه أبدعت. وأبدع على ما لم يسم فاعله. وقال: هكذا يستعمل. والأول أوجه وأقيس. ومنه الحديث" أتاه رجل فقال إني أبدع بي فاحملني"، أي: انقطع بي لكلال راحلتي [1] وبذلك تدور معاني البديع اللغوية بين إيجاد الشيء واختراعه على غير مثال، وبين العجيب الغريب، والمخالف للطبائع في ناحية الإيجاب أو السلب، ثم أطلق على مباحث علم من علوم البلاغة وهو الصنف الثالث، المسمى علم البديع،

(1) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، في **النهاية في غريب الحديث والأثر**:(105/1)، طبعة المكتبة العلمية.

وهناك رابطة قوية بين المعنى اللغوي، وبين البديع قسيم علوم البلاغة، وهو أن إيجاد نظم الكلام بصورة جميلة رائعة، هو من العجيب والاختراع على غير مثال.

## نشأة علم البديع:

بدأت الكتابة في مسائل البلاغة منذ بدأ التأليف في علوم العربية ومسائلها لكن الإشارة إليها بدأ منذ العصر الجاهلي، وكانت آنذاك في صورة ملاحظات نقدية أو توجيهات تعليمية إرشادية، وفي العصر الإسلامي وجدنا أن القرآن الكريم كان له أثر كبير في تنمية الذوق وتهذيب النفوس، فها هو ذا النبي–صلى الله عليه وسلم–يوصي بأن يتخير المسلم الكلمة الملائمة:" لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل: لقست نفسي"، وذلك كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه. وهذا أبو بكر–رضي الله–عنه يمر على رجل معه ثوب، فيقول له: أتبيع الثوب؟، فأجابه: لا، عافاك الله، فيتأذى أبو بكر ويقول للرجل:" قل: لا وعافاك الله"، وتلك إشارة إلى باب من أهم أبواب البلاغة، باب الفصل والوصل. وذاك هو عمر يعجب بشعر زهير ويقول:" زهير أشعر الناس"، ثم يعلل هذا الحكم:" لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل في المنطق، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ولا يقول ما لا يعرف"[2].

وسأل معاوية صحار العبدي وقد راعه بخطابته:" ما تعدون البلاغة فيكم؟، قال: البلاغة الإيجاز. فقال معاوية: وما

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في **البيان والتبيين**:(151/1)، الناشر: دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

الإيجاز؟، قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ"[1].

وعندما قامت سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة مقام سوق عكاظ في الجاهلية، ودعا الشعراء إلى الابتعاد عن الألفاظ الغريبة وإلى تخير الألفاظ الملائمة إلى تتسق مع السياق، كما نبهوا إلى ضرورة مراعاة التناظر بين الكلمات وألا يباعد الشاعر في القول وإلى أن تكون الأبيات ملتحمة متقارنة.

ابن المقفع: يقول وقد سئل عن البلاغة:" البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثير فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون شعراً منها ما يكون سجعاً وخطبا ومنها ما يكون رسائل؛ فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال. وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[2].

وفي العصر العباسي ونتيجة لتفشي المجون وانتشار الزندقة وشيوع الجهر بالفسق وتعقد الحياة العربية، طغت عليها أساليب المدينة والتحضر، والشعر كما هو معروف مرآة تعكس عليها حياة الأمم، ولسان يترجم عن أحوالها وجوانب حياتها، ومن الطبعي أن يتأثر الشعر بهذه الحياة الجديدة، فيلبس حللاً من الزخرف والزينة والتنميق، ونظر الشعراء في شعر أسلافهم الأقدمين، فوجدوا أن الأقدمين صرفوا هممهم إلى المعاني، وكان لهم بها فضل عناية، فمعاني الفخر والمديح والغزل والرثاء وغيرها طرقت منذ قرون، كما وجدوا أن الأقدمين سبقوا إلى الألفاظ القوية والعبارات الجزلة والأساليب المرضية، فصرفوا همهم إلى الصياغة؛ ليلبسوها أبهى حلل البيان، وأسمى صفات الكلام وذلك لا يتأتى إلا بالزخرف والزينة والبهرج والتوليد في المعاني، فكلفوا بها وتعمدوها وسموه البديع، وأصبح لهم صنعة روادها من أمثال: بشار بن برد، ومسلم بن الوليد والعتابي، ومنصور النمري وأبي نواس وأبي تمام والبحتري وعبد الله بن المعتز فقد كان الواحد منهم يقصد إلى تلك الأصباغ، ويكثر منها في شعره ولكنهم لم يكونوا سواء في تلك الصنعة من حيث الإقلال والإكثار والتسهيل والتوعر والطابع والاتجاه.

وفي هذا العصر بدأ التأليف ونشط في مختلف العلوم العربية وسجلت الملاحظات والمسائل البلاغية في كل المؤلفات. وهي إما لمؤلفيها وإما محكية ومنقولة عن غيرهم ثم نمت وتطورت حتى صارت إلى ماهي عليه الآن.

**المبحث الثاني:**

**جهود المعنيين بعلم البلاغة**

أ) **عبد الله بن المعتز:** سجل ألوان البديع التي كثرت في الشعر حولها إلى قواعد وأصول فكان له ما أراد بكتابه الذي يعد بداية التأليف في هذ العلم وهو كتابه (البديع).

وتحول البديع بهذا المؤلف من أصباغ تتناثر في الشعر ويهتم بها الشعراء وحدهم إلى قواعد وأصول، يضمها كتاب مستقل، ويعضدها جامعها بالشواهد والأمثلة التي توضح معانيها، وتبين طرائقها، وكان الباعث على تأليف هذا

(1) المرجع السابق:(69/1).
(2) البيان والتبيين:( 205/1).

الكتاب هو الدفاع عن أنصار البديع، وأن يثبت ابن المعتز أن هذه الألوان معروفة في العربية منذ القديم، وأن كثيراً منها ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد صرح بهذا الهدف في مقدمة كتابه بقوله: إنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع، وفي دون ما ذكرناه مبلغ الغاية التي قصدنا إليها.

ب) **سيبويه:** تحدث سيبويه في الكتاب عن بعض خصائص التراكيب، وأوجه الدقة في استعمال الألفاظ مثل: التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف، وعن معاني بعض الأدوات مثل أدوات الاستفهام وأدوات الشرط وذا ما تناوله البلاغيون فيما بعد في علم المعاني.

وعلى اعتبار اشتمال البديع لأقسام علم البلاغة العربية يكون سيبويه قد أسهم بقدر لا بأس به في الحديث عن البيد والارتقاء به.

ج) **الفراء:** ويتحدث الفراء في كتابه معاني القرآن عن مسائل بلاغية مختلفة كالتقديم والإيجاز والإطناب والمعاني التي تفيدها بعض الأدوات، كأدوات الاستفهام والتشبيه والاستعارة والكناية، وهي إشارات موجزة يدركها المتأمل في كتابه معاني القرآن الكريم. نراه مثلا إلى الكناية في الآية الكريمة:( ولكن لا تواعدهن سراً)؛ فيقول:" السر في هذا الموضع: النكاح ثم يرويه عن ابن عباس رضي الله عنه وينشد لامرئ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني*** كبرت وألا يشهد السر أمثالي [1]

ويتحدث عن الاستعارة في قوله تعالى:( وإنهما لبإمام مبين)[2] فيقول:" بطريق لهم يمرون عليها في أسفارهم فجعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع"[3].

د) **أبو عبيدة:**" ألف أبو عبيدة كتابه "مجاز القرآن" بسبب مسألة تتعلق بالتشبيه إذ سأله سائل في مجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه في قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) [4]، فقال: إنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف، فأجاب أبو عبيدة: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي *** ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به [5]

هـ) **الأصمعي:** لم يترك الأصمعي كتاباً في صيغ التعبير القرآني كالفراء وأبي عبيدة، ولكن من جاءوا بعده كابن

(1) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، **في معاني القرآن:**(1/ 153)، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي.

(2) سورة الحجرات: آية 79

(3) معاني القرآن:(91/2).

(4) سورة الصافات: آية 65

(5) ابن حجر، احمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني (773هـ-852هـ)، تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري الناشر مكتبة الرشد، سنة النشر 1409هـ-1989م، الرياض المملكة العربية السعودية.

المعتز وابن رشيق وأبي هلال وقدامة نقلوا آراءه وإشاراته البلاغية، فقد تحدث عن الجناس ويقال إنه ألف فيه كتاباً وتحد عن المطابقة وعن صورة أخرى للالتفات غير الصورة التي ذكرها أبو عبيدة. كما تحدث عن الإيغال وعن المبالغة.

وتحدث الأصمعي عن الالتفات وهو أول من وضع له هذه التسمية وقد أضاف له صورة أخرى غير التي ذكرها أبو عبيدة وهي أن يفرغ المتكلم من المعنى ونظن أنه سيتجاوزه إلى غيره فإذا به يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره.

و) **الجاحظ:** يعد الجاحظ من الأعلام الذين أسهموا بنصيب وافر في إرساء دعائم الفنون البلاغية، فلقد أشار في كتاباته إلى كثير من الأسس البلاغية التي أثرت البحث البلاغي، وألهمت الدارسين الكثير من الآراء والأفكار.

والناظر في كتابات الجاحظ في" البيان والتبيين" أو" الحيوان" أو" البخلاء" أو في" رسائله". يقف على أسلوبه المتميز بكثرة الاستطراد والخروج من فكرة إلى أخرى ثم العود بعد زمن طويل إلى الفكرة الأولى، ولعله يهدف بهذا إلى دفع الملل عن السامع أو القارئ، كما أن الأسس البلاغية التي يعرض لها تراها متناثرة في كتاباته والفكرة الواحدة تراه يعرضها في عدة مواضع، مما يتطلب من الدارس أن يبذل الكثير من الجهد في تتبعه واستقصاء كتاباته حتى يقف على هذه الأسس ويلم بتلك الفكر.

ز) **ابن قتيبة:** يعد ابن قتيبة من أعلام أهل السنة كما أن الجاحظ من أعلام المعتزلة، وقد ألف ابن قتيبة كتابه:" تأويل مشكل القرآن" للرد على الملاحدة الذين يطعنون في أساليب القرآن الكريم ويشككون في نظمه وإعرابه، وقد عرض في كتابه للكثير من آي الذكر الحكيم مستشهداً لها بنصوص الشعر القديم ليبطل دعوى الطاعنين، ويذهب ريب المشككين

كما أن له كتاب" الشعر والشعراء"، و" تأويل مختلف الحديث"، وفي هذه الكتب نثر ابن قتيبة ملاحظاته البلاغية، فتحدث عن المجاز بمعناه الواسع وتحدث عن الحذف والتقديم والتأخير والتكرار في القصص القرآني، وعن مخالفة ظاهر اللفظ معناه وهو ما عرف فيما بعد باسم المشاكلة كقوله تعالى (ويمكرون ويمكر الله). كما تحدث عن المبالغة وعن المقلوب كتسميتهم اللديغ سليما والفلاة مفازة وتحدث عن الاستعارة وعن الاستفهام وإفادته لمعانيه البلاغية وعن الأمر وإفادته لغير طلب الفعل. إلى غير ذلك من الملاحظات التي أثارها وتحدث عنها.

ح) **المبرد:** اشتهر المبرد بالنحو فعرفه أكثر القدماء بمحمد بن يزيد النحوي وكان فصيحاً بليغاً مليح الاختيار ثقة فيما يرويه، وقد ضمن كتابه "الكامل" كثيراً من أنواع البديع وألوان البلاغة، من أهمها حديثه عن التشبيه حيث أفرد له باباً وذكر أن العرب تشبه على أربعة أضرب تشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقلوب وتشبيه بعيد وقد ساق كثيراً من الشواهد منها قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالي

ط) **قدامة بن جعفر:** يعد قدامة بن جعفر من أغزر أهل عصره علماً وأوسعهم ثقافة، فقد أخذ بحظ وافر من علوم متنوعة، وبرز في اللغة والأدب والفقه والكلام الفلسفة والمنطق، كان نصرانياً ثم أسلم على يد المكتفي بالله، وقد درس قدامة الفلسفة والمنطق وتأثر بهما تفكيراً ومنهجاً في

مؤلفاته التي بلغت أربعة عشر مؤلفاً في موضوعات مختلفة [1].

وأسهم بكتابه "نقد الشعر" بنصيب وافر في نمو البلاغة وتطور مسائلها وتأثر بمن سبقه وأثر فيمن بعده؛ فقد كان مفتاحاً من مفاتيح أبواب النقد الأدبي، وقامت على أثره دراسات كثيرة في الأدب والنقد.

**ي) عبد القاهر الجرجاني:**

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، له مؤلفات عديدة أهمها" أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" فقد استطاع عبد القاهر أن يفيد من المؤلفات السابقة وأن يبرز في هذين الكتابين مسائل البلاغة بالشرح والتحليل والإكثار من الشواهد والأمثلة وأول ما نلاحظه أن كتاب" أسرار البلاغة" قد تضمن مسائل البيان وبعض فنون البديع وأن كتاب" دلائل الإعجاز" قد تناول مسائل المعاني ، وهذا لا يعني أن عبد القاهر قد قسم علوم البلاغة، إن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة: معان، وبيان وبديع، لم يتم إلا في عهد السكاكي، أما عبد القاهر وسابقوه فقد كانت البلاغة عندهم علماً واحداً يتناول مسائل البديع وفنونه[2].

**المبحث الثالث:**

**أ) مدخل البديع في الإعجاز القرآني**

إن من يتأمل في بلاغة القرآن الكريم يجد أن فنون البديع لا تقل شيئاً في إظهار روعة القرآن الكريم وسر فصاحته وبلاغته عن مسائل علمي المعاني والبيان، وأن ألوان البديع يستدل بها على إعجاز القرآن الكريم، كما يستدل على إعجازه بمسائل علم المعاني: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والالتفات، والإيجاز والإطناب، والذكر والحذف، والفصل والوصل... ومسائل علم البيان: والتشبيه والاستعارة، والمجاز والكناية.

والأمثلة القرآنية المشتملة على ألوان البديع أكثر من أن يتسع لها هذا المقام، هي كثيرة ومبثوثة في أساليب القرآن وآياته، وكلها تشهد بأن حسنها ذاتي، داخل في صميم البلاغة، ودال على عظمة القرآن وإعجازه، و لم تكتف القرآن الكريم بذكر الكلام مطابقاً لمقتضى الحال فقط وإنما آثر الإتيان به في أبهى صورة من الحسن اللفظي والمعنوي.

وقد أكد الدكتور محمد أبو موسى "أكد على أن البلاغة القرآنية يتساوى فيها ألوان البديع وفنون المعاني والبيان، فبلاغة القرآن المعجز تحيط بكل هذه الألوان والفنون، وذلك في قوله عن ألوان البديع في تفسير الزمخشري: عرض الزمخشري للمشاكلة وللمطابقة وللجناس وللمزاوجة وللتقسيم، وغير ذلك مما جعله المتأخرون من علم البديع، كما عرض لفنون البيان والمعاني، ولا أجد من كلامه ما يدل على أن الألوان التي جعلها المتأخرون من علم البديع دون غيرها من فنون البيان والمعاني، من حيث أثرها في قوة الكلام وبلاغته، وقد نظرت في كتابه كله ووقفت عند كل لون ذكره– يعني الزمخشري – من هذه الألوان، فوجدته يشير إلى بلاغتها، وإلى أنها فن من كلامه البديع، وطراز عجيب، وأنها من مستغرب فنون البلاغة، ثم يشيد ببلاغة

(1) الحموي، ياقوت الحموي، في معجم الأدباء: (12/17)، القسم: كتب الأدب، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

(2) ابن زاكور، محمد بن قاسم بن زاكور **الصنيع البديع في شرح الحلة ذات البديع:** 235، جامعة محمد خامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1992، المغرب.

القرآن المعجزة التي تحيط بكل هذا الفنون، وتوجد فيها على أحسن صورة، وأقوم منهج"[1].

ومما سبق نقول: أن منزلة البديع في مجال الدراسات الإسلامية والتعرف على أسرار القرآن ودلائل إعجازه، لا تقل شأناً عن منزلة أخويها من علمي المعاني والبيان، بل ولا عن غيرها من سائر العلوم العربية والدينية، وأن القول بغير ذلك أو بجعلها تابعة لأخويها أو ذيلاً لهما أو يجعل حسنهما عرضاً لا ذاتاً، كلام ينقصه الدقة ولا يتفق مع النظرة العلمية للأمور؛ إذ ليس القصور في جانب من جوانب تحسين اللفظ مما يليق برب العزة وكتابه العزيز.

وألوان البديع قد لا تحتاج إلى ما تحتاج إليه فنون البيان من الدراسة والتحليل، فكل لون منها مستقل عن صاحبه... فليس فن منها مبنياً على فن وليس فن منها قسيماً لفن، وذلك بخلاف ألوان البيان التي نجدها متشابكة؛ فالاستعارة مبنية على التشبيه والتمثيل قسم من التشبيه والمجاز منه مجاز في الكلمة ومنه مجاز في الحكم والمجاز في الكلمة ينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة والكناية أخت المجاز وغير ذلك من الروابط بين هذه الفنون...؛ لذلك كانت مباحث البيان كأنها مبحث واحد وكانت مباحث البديع كأنها مباحث متفرقة، ومن هنا تأخر نضج المباحث البيانية في حين سبقت مباحث ألوان البديع واكتملت تقريباً قبل الجرجاني. اللهم إلا تلك الفنون التي أضافها المتأخرون في عصر البديعيات وهذه إضافات لم تغير شيئاً فيما سبق العلماء إلى دراسته من هذه الألوان [2].

**ب) أثر القرآن في شاعرية العرب:**

لما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم كان للدين الجديد والقرآن الكريم أثرهما الذي لا يجحد على عواطف العرب ومشاعرهم، وجميع مناحي حياتهم، فهدّأ عواطفهم الثائرة، وأرهف مشاعرهم وتشربت جوانب حياتهم روح القرآن الكريم ومعانيه، ولا عجب إذا ظهر أثر القرآن ومعانيه وروحه في أدبهم فهو الآية والغاية وإليه المنتهى في بلاغة القول.

ومن آثاره في أدباء العرب: أن جاء شعرهم مهذباً في لفظه وأساليبه، فرقت الألفاظ وأحكمت الأساليب فضلاً عن المعاني والأغراض التي دارت حول الدعوة وصاحبها، وحول القرآن الكريم الذي أدهشهم وملك عقولهم، وإن كان الطابع العام للشعر الإسلامي بقي كما كان في العصر الجاهلي، فلم يبتكر شعراء الإسلام مذهباً جديداً في الشعر، كما بقيت الصناعة اللفظية كما هي موضع اهتمام القوم دون تعمل أو استكراه.

الحقيقة التي لا جدال فيها أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأكبر ومعجزاته البيانية الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل فرد عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التعبير والأداء.

(1) أبو موسى، محمد حسنين أبو موسى، **في البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية:** ص 479 – دار الفكر العربي، القاهرة.

(2) أبو موسى، محمد حسنين أبو موسى، في البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: ص 501 – دار الفكر العربي، القاهرة.

ثم إن القرآن الكريم هو مناط الوحدة الذوقية والوجدانيـــة لمختلف الشعوب التي اتخذت العربية لساناً لها، ومهما تتعدد لهجاتها المحلية وتختلف أمزجتها وتباين أساليبها الخاصـــة في الفن القولي يبق القرآن الكريم، في نقاء أصالته، كتابها القيم الذي تلتقي عنده الشعوب العربية اللسان، على اخـــتلاف لهجاتها وأقطارها، وتفاوت تأثيرها بالعوامل الإقليمية، كما تلتقي عنده كتاب عقيدة وشريعة ومنهاج.

**المبحث الرابع:**

**منزلة البديع، أقسامه، ألوانه**

**أ) منزلة البديع بين الدراسات البلاغية:**

علم البديع هو أحد علوم ثلاثة" المعاني والبيان والبديع" وتحتل هذه العلوم مكانة سامية ومرتبة رفيعة بين العلوم الإسلامية والعربية على السواء، فموضع هذه العلوم من علوم العربية أو العلوم الإسلامية موضع الرأس من الإنسان، أو اليتيمة من قلائد العقيان فهو مستودع سرها ومظهر جمالها وجلالها، فلا فضيلة لكلام على كلام إلا بما يحويه من لطائفها ويودع فيه من مزاياها وخصائصها، ولا تبريز لمتكلم على آخر إلا بما يحوق من وشيها، ويلفظه من دررها، وينفثه من سحرها، ويجنيه من بائع ثمرها، فعلوم البلاغة تعد وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، فإذا غفل الإنسان علم البلاغة وأخل بمعرفة قواعدها، لم يستطع أن يدرك سر إعجاز القرآن الكريم، ولم يعرف من أي جهة أعجز الله العرب عن أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، وكما أن علوم البلاغة تعد وسيلة لمعرفة الإعجاز القرآني، فإنه لا غنى عنها لمن أراد أن يفهم كتب الله ويعرف أحكامه، ويتبين حلاله وحرامه غير ذلك من علوم القرآن ومعارف الذكر الحكيم.

والبلاغة بأقسامها ومنها محاسن البديع بها يعرف وجه إعجاز القرآن الكريم كما يعرف صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وتدل على أن من يتقنها هو من يملك ناصية البيان وحسن التعبير وجماله وروعة اللفظ وحسنه.

**ب) أقسام البديع بحسب تقسيم العلماء**

ذهب العلماء في تقسيم البديع إلى قسمين، محسنات لفظية، ومحسنات معنوية، وفرقوا بينهما في التعريف فقالوا:

المحسنات معنوية: ما أريد بها تحسين المعنى، كالطباق والمقابلة، والتورية، والمشاكلة وحسن التعليل، والتوجيه أو الإيهام، وإن تبع ذلك تحسين اللفظ؛ لأن المقصود تحسين المعنى بداءة.

والمحسنات اللفظية: ما أريد بها تحسين اللفظ، كالجناس، والسجع، ورد العجز على الصدر، وإن تبع ذلك تحسين المعنى؛ لأن المقصود تحسين اللفظة بداءة.

**ثالثاً: ألوان البديع**

1-**التجنيس:** ابن المعتز هو الواضع لهذا اللقب، وهو أول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف؛ فقد عرفه وذكر أقسامه وأفاض في ذكر شواهده وذكر مثلًا لمعيبه. وبذلك ينتهي الباب [1]

2-**المطابقة:** وقد ذكر ابن المعتز هذا الباب في كتابه البديع وفيه كثير من الشواهد، وذكر مثلًا لما عيب منه. ومن الغريب أن يكون أرسطو قد تكلم على المطابقة والمقابلة؛

(1) ابن رشيق القيرواني، في العمدة في **محاسن الشعر وآدابه** ابن رشيق في **العمدة:** (1/ 299)، وابن المعتز في **البديع:** (6/ 55، 56، 71، 73)، والصناعتين: ص 310، 328، ومصدر الكتب: موقع الوراق.

حيث ذكر التقابل وأن المتقابلات إذا توافقت أحدثت رونقًا لظهور بعضها ببعض، وأن المعتدل" الذي لا يفرط في الصفة حتى يدخل في حيز الكذب الظاهر" وخصوصًا إذا شحن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات لذيذ جدًّا، وأن المتقابلات بعضها أضداد وبعضها كأضداد[1].

وابن المعتز فوق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها، ولم يذكرها في كتابه البديع. وقد ذكر قدامة المقابلة وعرَّفها في نقد الشعر تعريفًا تأثر فيه بأرسطو، وأخذ السكاكي تعريف قدامة رأيًا له في تعريفه للمقابلة. وفي الصناعتين باب للمطابقة تأثير فيه أبو هلال بابن المعتز إلى حد كبير، وكذلك فعل ابن رشيق[2]

3-**رد العجز على الصدر**: وهو اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه، وقد ذكر ابن المعتز أقسامه وشواهد كثيرة له، ثم ذكر مثلًا قليلة لما عيب منه، وقد سار على نهجه أبو هلال. وابن رشيق يسميه التصدير، ونقل فيه كثيرًا من مثل ابن المعتز وشواهده، ويذكر ابن رشيق من مثله نقلًا عن ابن المعتز: ولم يحفظ مضاع المجد شيء. من الأشياء كالمال المضاع وهذا البيت غير موجود في نسخة البديع الموجودة بين أيدينا مما يدل على نقصها. وابن الأثير يجعل رد العجز على الصدر ضربًا من التجنيس[3].

4 -**الاعتراض**: ويعرف ابن المعتز الاعتراض بأنه اعترض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد، وقد تبعه أبو هلال[4].

5-**الرجوع**: عرفه ابن المعتز بأن تقول شيئًا وترجع عنه، وذكر شواهد له[5].

وابن المعتز أول مَن ابتكر هذا القلب له، فكانت الرواة تعيب مثل هذا الاسلوب؛ لأن الشاعر يكذب نفسه. كان أستاذه الأسدي يشتد في نقد زهير في قوله: "بلى وغيرها الأرواح والديم"[6]، ويرد صاحب العقد على هذا النقد[7]، وابن المعتز يعده من ألوان البديع.

6-**حسن الخروج**: قال الشاعر: وأحببت من حبها الباخلين ... حتى ومقت ابن سلم سعيدا

فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد، والحاتمي يسمي الخروج استطرادًا اتساعًا -كما يقول ابن رشيق:" وعلى أي حال فالاستطراد قريب من التخلص، وكان شبيب بن شيبة يقول: الناس موكلون بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه، وجودة القطع هي حسن التخلص؛ وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيعن له آخر فيأتي به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغزاه، وقد أكثر المحدثون منه"[8].

7-**تأكيد المدح بما يشبه الذم**: وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، ويجعله أبو هلال ضربًا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء، وكذلك فعل ابن رشيق [9].

---

(1) البديع: (6/ 90-92).

(2) نقد الشعر: ص 79، الصناعتين: ص 297-310.

(3) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ص 100، المكتبة العصرية – بيروت، لبنان، 1995م، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

(4) البديع: ص 108، صناعتين: ص 385.

(5) البديع: ص 108، 109، وخزانة الأدب: 367.

(6) المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)، في الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ص 35، 36.

(7) ابن عبد ربه الأندلسي، في العقد الفريد: (3/ 316)، ومصدر الكاتب: موقع الوراق.

(8) مقال محمود حسن عمر، **من فنون البديع**، شبكة الألوكة( http://www.alukah.net/literature_language/0/83257/) تاريخ التصفح 2017/04/18م.

(9) الصناعتين: ص 396، العمدة: (2/ 2 45).

8-تجاهل العارف: وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وتبعه أبو هلال [1].

9-الهزل يراد به الجد:

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وفي الجاحظ مثل تصلح أن تكون من هذا النوع [2]

10-**حسن التضمين للشعر:** وهو أن يضمن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا، وقد عرف هذا المعنى من قبل ابن المعتز؛ ولكنهم لم يلقبوه هذا اللقب، وقد نقد عبد الله بن طاهر أبا تمام في اقتباسه من القرآن في شعر له، ورأى أن القرآن أجل من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر [3]، ويذكر ابن المدبر حسن الأخذ من الشعر والأمثال [4]، ويقول المبرد في أبي العتاهية: لا يكاد يخلو شعره مما تقدم من الأخبار والآثار [5]، ويقول ابن سلام: إن الزِّبْرِقَان أخذ بيت النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي حومة المستنفر العادي

في شعره كالمثل حين جاء في موضعه لا مجتلبًا له، وقد تفعل العرب ذلك لا يريدون به السرقة [6] ويذكر ابن المعتز شواهد لهذا الباب، واحتذاه أبو هلال وابن رشيق.

11-**التعريض والكناية:** التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء.

12-حسن التشبيه: لقد كان ابن المعتز مهتماً بالتشبيه وعده له من ألوان البديع متمشيًا مع فطرته وذوقه الأدبي الذي شغف بهذا الصبغ البياني شغفًا خاصًّا.

13-إعنات الشاعر نفسه في القوافي: وهو باب لزوم ما يلزم، وهو من إفراد ابن المعتز، وإذا كان ابن المعتز يسميه إعناتًا فكيف يعده من البديع؟ [7]

14-**حسن الابتداء:** سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء [8]، وأورد في هذا الباب قول النابغة: "كليني لهم يا أميمة ناصب"، قال ابن أبي الأصبع: ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار [9]، ويقول الحلبي: وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداء القصائد، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال [10]؛ ولكن ابن المعتز هو الذي سبق إلى هذه التسمية، وأفاض في ذكر شواهد هذا الباب مما احتذاه فيه أبو هلال وسواه.

**المبحث الخامس:**

## في بديع القرآن

لو فتشنا عن ألوان البديع في القرآن الكريم اشتملت آياته على كثير من الألوان البديعية، التي جاءت في أعلى درجات

(1) البديع: ص 111، 112، الصناعتين: ص 387-389.

(2) البديع: ص 112، 113، العمدة: (2/ 245).

(3) الصولي، في كتابه أخبار أبي تمام: ص 211، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

(4) ابن المدبر، إبراهيم ابن المدبر في كتابه الرسالة العذراء، تحقيق/ الدكتور زكي مبارك، طبعة دار الكتب المصرية.

(5) المبرد، في كتابه الكامل:( 2/ 238)، ومصدر الكاتب: موقع الوراق http://www.alwarraq.com.

(6) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، في المزهر في علوم اللغة وأنواعها:( 1/ 144)، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، تحقيق: فؤاد علي منصور.

(7) نقد الشعر: ص 65-70، والبديع: ص 132-133.

(8) البديع: ص 133-135.

(9) البغدادي، أبو بكر علي بن عبد الله، في خزانة الأدب: ص3، تحقيق الدكتورة كوكب دياب، طبعة دار صادر بيروت لبنان.

(10) الحلبي، الامام الفاضل جامع أشتات الفضائل شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي المتوفى سنة 735 هـ، في حسن التوسل الى صناعة الترسل: ص 93، طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة 1298 هـ.

الروعة والجمال وعلى سبيل المثال لا الحصر الطباق( قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1].

البحوث البديعية تبدو متناثرة في كتب المفسرين والمتكلمين والأدباء الذين حرصوا على أن يبينوا إعجاز القرآن الكريم الذي جعله الله دليلاً على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبرهاناً على صدق دعوته ، جامعاً لفنون البلاغة ، حاوياً لأطراف الفصاحة ، محكماً في نظمه إذ تحدى الفصحاء فوقفوا أمام هذا النظم موقف الإعجاب والذهول والحيرة[2] وكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وعارضوا القرآن ، ثم لم يلبثوا أن ثابوا إلى رشدهم ودخلوا في دين الله أفواجاً[3]، و لم تلبث ثقافاتهم أن ظهرت في عقائدهم وتفكيرهم في فهم القرآن بحسب مذهبهم السياسي أو الديني منهم:

(1) **المعتزلة**: وإمامهم الجاحظ وكان من أئمة البيان ، ألف كتاب عن نظم القرآن وأسلوبه[4] للرد على القائلين بأن القرآن في مقدور العباد الإتيان بمثله ولكن الله صرفهم عن ذلك وبيان أن القرآن معجز للعرب بنظمه وأسلوبه ، وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ، ولذلك يحتج للقرآن بقوله في وصف بيانه ، كما أنه فطن أيضاً إلى أن لألفاظ القرآن ميزة أزيد مما سق من حيث النظم ، وهي إتيان بعض ألفاظه مقترنة متصاحبة لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس[5]، لم يقف عند هذا الحد بل إنه تكلم عن أنواع بديعية استخرج أمثلتها من القرآن ، وعرفت هذه الأنواع فيما بعد باسم البديع ، وإن كان الجاحظ لم يضع لها قوانين ، أو يفصلها التفصيل الذي وجدت عليه فيما بعد ، فتكلم عن المجاز وجعله شاملاً للاستعارة والتشبيه عند كلامه ، ولا شك أن ما قاله الجاحظ من الكلام على (بديع القرآن) كلام غير مقصود لذاته إذ لم يرد أن يتكلم عن فن البديع أو البلاغة ، بل كان يتعرض لذلك استطراداً ، وتلك طريقته في كتابته ومؤلفاته ، ولكن ما عمله أسدى إلى البيان العربي عامة ، وبديع القرآن وبلاغته خاصة اليد الطولى بجهوده التي بذلها في دراسة أسلوب القرآن، والتي أثمرت ثمرة طيبة في حياة النقد والبلاغة لأنه آمن إيماناً لا يساوره شك بأن القرآن في الذروة العليا من البلاغة وأسلوبه مثل أعلى للأسلوب العربي ولذا كان يقدم الشاهد القرآني على غيره[6].

(2) **المفسرون**:
كان لهم في تنمية البلاغة، والكشف عن أسرارها، وخاصة بلاغة القرآن، وإن كان تفسيرهم لغوياً في المرحلة الأولى، وتأويلاً لما في القرآن من أمر ونهي، وإشارة وحدود؛ إذ كانت الألسنة قد فسدت، و لم تستطع كل العقول إدراك أسرار القرآن وإبراز نكته التي تضمنت شيئاً من أسرار جماله، ووجوه بيانه، فاضطلع بهذا العبء في تلك المرحلة

(1) آل عمران: آية 26.
(2) النجار، محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري: ص 7، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى.
(3) الفرقان لابن الخطيب: ص29.
(4) الحيوان:( 1/1).
(5) البيان والتبيين:( 21/1).
(6) بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري – تحقيق حفني محمد شرف– نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

اللغويون والنحاة[1] ومن هؤلاء الذين تعرضوا لدراسة بلاغة القرآن عرض موجز:

الفراء والذي يعتبر امتداداً لأبي عبيدة في مجازه إذ أن تفسيره (معاني القرآن) مكمل له من الناحية اللغوية لأنه وإن كان يبحث في التراكيب والإعراب ، فإن المجاز يبحث في الغريب والمجاز وفي كلتا الدراستين تبحث في الأسلوب والتراكيب ، ويغلب عليه في دراسته الطابع النحوي وهذا أمر طبيعي إذ انه إمام النحو الكوفي كما أنه لم ينس الأسلوب ، ولكنه بجانب كل ذلك لم ينس الدراسة البيانية، فقد تكلم عن أنواع بديعية في القرآن أثبتها فيه ، ودلل على وجودها بذكر أمثلتها فيه فتكلم عن الكناية ، والتشبيه والمجاز ، والاستعارة ، وإن لم ينص عليها صراحة ، إلا أن تفسيره يظهر معناها ، والالتفات.

كما أن الفراء لم يغفل موسيقى القرآن ولا نظمه ولا وزنه وأثر كل ذلك في نفوس سامعيه، وإنه يثير بألفاظه واسلوبه وجداهم، ويروع نفوسهم وهذا ما امتاز به عن أبي عبيدة.

ب) تطور التفسير وانتقل من التفسير اللغوي إلى الإيضاح والتأويل على يد ابن جرير الطبري الذي انتقل بدراسة بلاغة القرآن إلى أوسع مما كانت عليه عند الفراء، ويؤكد الطبري نظرية بلاغة القرآن ويرجعها إلى بديع نظمه وتأليفه الغريب الذي أعجز العرب مع أنه بلغتهم ولفظه بلفظهم، ثم ذكر بعض الأنواع البديعية التي أدت إلى التفاوت بين القرآن الكريم وكلام العرب وما أتى منها في اللسان العربي، كالتقديم والتأخير والاستعارة والإيجاز والإطناب.

ثم جاء الزمخشري وقد تأثر بعبد القاهر الجرجاني، ولم يضع كتابا خاصاً في بلاغة القرآن، وسار الإمام ابن عطية في تفسيره المسمى (الجامع المحرر) على طريقة الزمخشري في كشافه ولم يذكر أنواع بديعية كما أنه لم يتكلم عنها[2].

(3) الأدباء:

ظهرت في القرن الثاني الهجري طائفة من الأدباء والشعراء أخذوا يتدارسون القرآن وينقدونه، ويقلدون نظمه وأسلوبه، ولكنهم باءوا بالفشل، ومنوا بالهزيمة، وأيقنوا أن القرآن بلغ الذروة في البلاغة والفصاحة.

أ) ولقد ظهرت فكرة بلاغة القرآن وروعة بديعه مع هدفه الاصطلاحي عند الكاتب الكبير والأديب الفاضل علي الطبري

ب) أبي هلال العسكري في كتابه الصناعتين وإن لم يخصص لدراسة بلاغة القرآن تأليفاً خاصاً، إلا أنه أوجب معرفة البلاغة ودراستها لأنها هي الطريق الموصل إلى معرفة بلاغة القرآن وإعجازه.

ت) السكاكي المتوفي سنة 626هـ يرى أن القرآن بليغ بنظمه، وأسلوبه وفصاحة ألفاظه ومعانيه، وصحة مبانيه، يقوده إلى ذلك الكشف عن بديع القرآن وجماله، ووجود الفنون البلاغية فيه.

ث) الآمدي، وهو من علماء القرن السابع الهجري يتكلم عن بلاغة القرآن ولكنه لم يخصص كتاباً خاصاً بل إنه جمع آراء السابقين، وتكلم عن نظم القرآن وأسلوبه[3].

**كتب خاصة بالدراسات القرآنية:**

1. لعل أول كتاب انفرد بدراسة القرآن هو كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنة 209هـ، تكلم عن أنواع بلاغية فيه ولم يقصد

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، مقدمة شرح المفصل للزمخشري:( 8/1)، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى 1993م.

(2) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**:( 119/2).

(3) ذكره الألوسي في مقدمة تفسيره 25/1 طبعة مصر

التفصيل والتقسيم لهذه الأنواع التي تعرض لها وسمى بعضها، فهو لم يقصد الكشف عن بلاغة القرآن أو بديعه، أو عن جمال أسلوبه، كما قد يفهم من معنى هذه العبارة بل كان كل همه معرفة الحقيقة والمجاز للألفاظ القرآنية.

2. تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفي سنة 276هـ وقصد" ببلاغة القرآن أو بديعه" صحة التأليف الذي قطع أطماع الكائدين، وعجيب النظم الذي دحض حيل المتكلفين، وأثره في النفس وفوائده التي لا تنقطع. وبين أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة بلاغة القرآن إلا بترداد النظر فيه واتساع العلم، وفهم مذاهب العرب.

ج) الباقلاني، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المتوفي سنة 403هـ، اتسعت دائرة الكلام عن بلاغة القرآن وبديعه في الشكل على يديه حتى أصبح بحق مدرسة تخرج فيها علماء البلاغة ومؤلفو كتب بلاغة القرآن وبديعه من بعد. ولقد شغف ببلاغة القرآن فأخذ على نفسه أن يرجعها إلى أسلوبه ونظمه فيرى أن أسلوب القرآن خاص به، لا يضارعه فيه غيره، كما أنه خارج عن الأساليب المعروفة، فلم يوجد ولن يوجد في العربية أثر يجاريه في بلاغته بحيث يحفظ جمال الأسلوب مع هذا المقدار من الطول، والاشتمال عل الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والقصص كما أنه يدلل على جودة نظم القرآن وسمو بلاغته بأخذ كلمة منه، واستعمالها في شعر أو نثر فتصير كالدرة في وسط العقد تسترعي الأنظار، وتدهش العقول وتبهر الألباب [1]

ح) عبد القاهر الجرجاني، المتوفي 471هـ ، اتخذت بلاغة القرآن على يديه منهجاً جديداً فلم يكن مقلداً ولا جامعاً لآرائهم، بل كان مفكراً استفاد مما ذكروه، ومبتكر فاخترع ما لم يعرفوه فكان صاحب نظرية النم، وألبسها ثوباً قشيباً، كما أنه وجد أن دولة الألفاظ قد طغت وكثر زعماؤها فنقل البلاغة من حيز الألفاظ المتلائمة إلى المعاني المتناسبة، وعرضها عرصاً مستفيضاً حتى اعتبر بحق عند كثير من علماء البلاغة أنه أول من ألف فيها ، وقد ألف كتاب "دلائل الإعجاز" ليثبت فيه بلاغة القرآن بعد كلامه عن البلاغة عامة في كتابه "أسرار البلاغة" وإن كان لكتابه الأخير هذا ميزة خاصة وهي عنايته بالبلاغة من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس، ومراعة أحسن الطرق لإفهام النفس الإنسانية ما يريد أن يؤد به المتكلم، والجرجاني في دراسته لبلاغة القرآن لا يرجع هذه البلاغة على معاني الكلمات مفردة، ولا إلى موازنة كلمات القرآن بكلمات العرب ، ولا إلى المقاطع والفواصل، لأنها ليست بأصعب من الوزن والقافية في الشعر، ويذكر أن العرب الذين في مقدورهم ذلك قادرون على المقاطع والفواصل، كما أنه خيل لبعضهم مثل ذلك[2]. كما أنه لم يرجع بلاغة القرآن إلى اشتماله على الاستعارة وما يتعلق بأنواع البديع لأنها لا توجد في كل الآيات، إذا صح ذلك فتكون بعض الآيات الخالية من البديع غير بليغة ولا

(1) الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، في **إعجاز القرآن:** ص 67، سلسلة ذخائر العرب 12.

(2) عبد القاهر في دلائل الإعجاز.

معجزة، ولا يرجع بلاغته إلى ألفاظه السهلة أو الغريبة. وبلاغة القرآن تقوم على تلاؤم معانيه في الكلمات المفردة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود في جمال وقوة نظم هذه المعاني نظماً مستقيماً متلائماً بفضل علم النحو والبلاغة.

والعمدة في إدراك النظم تلك البلاغة هو الذوق والإحساس الروحاني في كثرة الاطلاع على كلام العرب إذ إن بلاغة القرآن شيء غير محسوس فيختلف في تذوقه، فكان عبد القاهر بحق قدوة لدارسي بلاغة القرآن.

تنويه: مما تقدم نرى أن بلاغة القرآن وبديعه تطورت من دراسة لغوية إلى بلاغية على يد بعض المفسرين والأدباء مع اقتصارها على بيان الالفاظ وسلامة التركيب، ثم قصد بها النظم، والأسلوب والمعاني، والأثر في النفوس والقلوب كما لم يترك مؤلفو كتب بلاغة القرآن ذكر بعض الأنواع البديعية وبيانها في القرآن والتمثيل لها بآياته، وكان غرض الدارسين في كل ما سبق الكشف عن إعجاز القرآن. فإذا ما وصلت هذه الدراسة إلى بديع القرآن لابن أبي الأصبع يجده فيما بعد من العلماء يعتمد في دراسته على القول بأن القرآن بليغ بألفاظه وأسلوبه وتراكيبه وأثره، بل يزيد أن القرآن بليغ بما فيه من التراكيب البديعية التي يعرفها العرب والمتكلمون بالعربية، ويسمون صاحبها بالبليغ أو البديعي، فجمع الأنواع البديعية التي عرفت إلى عصره، وجديده الذي اخترعه في كتابه" تحرير التحبير" ومثل لهذه لا أنواع بآيات القرآن، وخرّج تلك الآيات على الوجوه البلاغية، والأنواع البديعية مبيناً في دراسته لهذه الأنواع سلامة نظم القرآن، وسلاسة أسلوبه وبلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه فلم يصنع أحد من العلماء قبل ابن أبي الأصبع صنيعه في تأليف كتاب تتميز فيه بلاغات القرآن وبديعه، ليسهل من وراء ذلك استخراج إعجازه ، وتقريب طرق إطنابه وإيجازه فكان بذلك متفرداً في هذه الدراسة وإن سبقه غيره إلى تطبيق بعض هذه الأنواع في القرآن ، كأبي الهلال العسكري والرماني إلا أنه لم يكن على سبيل الحصر لهذه الأنواع، أو على سبيل الخاصية لدراسة بلاغة القرآن.

**الخاتمة وأهم النتائج**

لا شك أن هذا التطواف القليل في ربوع البديع توصلنا منه إلى نتائج وإن كانت قليلة إلا أنها تفتح طرقًا وتنير دروبًا لملتمس البديع والباحث عنه ومن ذلك:

أولًا: إن للبديع منزلة كبيرة في مجال الدراسات الإسلامية لما له من دور بارز في التعرف إلى أسرار القرآن ودلائل إعجازه، لا تقل شأناً عن منزلة أخويه من علمي المعاني والبيان، بل ولا عن غيرها من سائر العلوم العربية والدينية، وإن القول بغير ذلك أو بجعله تابعًا لأخويه أو ذيلاً لهما أو بجعل حسنه عرض زائل كلام تنقصه الدقة ولا يتفق مع النظرة العلمية للأمور؛ إذ ليس القصور في جانب من جوانب تحسين اللفظ مما يليق برب العزة وكتابه العزيز.

ثانيًا: ألوان البديع قد لا تحتاج إلى ما تحتاج إليه فنون البيان من الدراسة والتحليل كدراسة متصلة، فكل لون منها مستقل عن صاحبه... فليس فن منها مبنياً على فن وليس فن منها قسيماً لفن، وذلك بخلاف ألوان البيان التي نجدها متشابكة؛ فالاستعارة مبنية على التشبيه والتمثيل قسم من التشبيه والمجاز منه مجاز في الكلمة ومنه مجاز في الحكم والمجاز في الكلمة ينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة والكناية أحت المجاز وغير ذلك من الروابط بين هذه الفنون... لذلك كانت مباحث البيان كأنها مبحث واحد وكانت مباحث البديع كأنها مباحث متفرقة، ومن هنا تأخر نضج المباحث البيانية في حين سبقت مباحث ألوان البديع

واكتملت تقريباً قبل الجرجاني. اللهم إلا تلك الفنون الـــتي أضافها المتأخرون في عصر البديعيات وهذه إضافات لم تغير شيئاً فيما سبق العلماء إلى دراسته من هذه الألوان.

ثالثًا: إن بلاغة القرآن وبديعه تطورت من دراسة لغوية إلى دراسة بلاغية على يد بعض المفسرين والأدباء مع اقتصارها على بيان الألفاظ وسلامة التركيب، ثم قصد بهـــا الـــنظم، والأسلوب والمعاني، والأثر في النفوس والقلوب كما لم يترك مؤلفو كتب بلاغة القرآن ذكر بعض الأنواع البديعية وبيانها في القرآن والتمثيل لها بآياته، وكان غرض الدارسين في كل ما سبق الكشف عن إعجاز القرآن.

رابعًا: توصلت هذه الدراسة إلى بديع القرآن لابن أبي الأصبع يجده فيما بعد من العلماء يعتمد في دراسته على القول بأن القرآن بليغ بألفاظه وأسلوبه وتراكيبه وأثره، بل يزيد أن القرآن بليغ بما فيه من التراكيب البديعية التي يعرفها العرب والمتكلمون بالعربية، ويسمون صاحبها بالبليغ أو البديعي، فجمع الأنواع البديعية التي عرفت إلى عصره، وجديده الذي اخترعه في كتابه" تحرير التحبير" كما بنى دراسته لهذه الأنواع سلامة نظم القرآن، وسلاسة أسلوبه وبلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه.

## أهم المصادر والمراجع:


[1]. ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

[2]. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية – بيروت، لبنان، 1995م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

[3]. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، في النهاية في غريب الحديث والأثر، طبعة المكتبة العلمية.

[4]. ابن المدبر، إبراهيم ابن المدبر في كتابه الرسالة العذراء، تحقيق/ الدكتور زكي مبارك، طبعة دار الكتب المصرية.

[5]. ابن حجر، احمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني (773هـــ-852هـــ)، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري الناشر مكتبة الرشد، سنة النشر 1409هـــ-1989م، الرياض المملكة العربية السعودية.

[6]. ابن رشيق القيرواني، في العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ومصدر الكتب: موقع الوراق.

[7]. ابن زاكور، محمد بن قاسم بن زاكور الصنيع البديع في شرح الحلة ذات البديع، جامعة محمد خامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1992، المغرب.

[8]. ابن عبد ربه الأندلسي، في العقد الفريد، مصدر الكاتب: موقع الوراق.

[9]. ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف بالقاهرة الطبعة الأولى.

[10]. أبو موسى، محمد حسنين أبو موسى، في البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة.

[11]. الألوسي، تفسير الألوسي، طبعة مصر، بدون تاريخ.

[12]. الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، في إعجاز القرآن، سلسلة ذخائر العرب 12.

[13]. البغدادي، أبو بكر علي بن عبد الله، في خزانة الأدب، تحقيق الدكتورة كوكب دياب، طبعة دار صادر بيروت لبنان.

[14]. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في البيان والتبيين، الناشر: دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي.

[15]. الحلبي، الامام الفاضل جامع أشتات الفضائل شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي الحنفي المتوفى سنة 735 هـــ، في حسن التوسل الى صناعة الترسل، طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة 1298 هـــ.

[16]. الحموي، ياقوت الحموي، في معجم الأدباء، القسم: كتب الأدب، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

[17]. الخطيب القزويني، في الإيضاح في علوم البلاغة: ص 255، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1424/203هـــ

[18]. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـــ)، مقدمة شرح المفصل للزمخشري، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى 1993م.

[19]. السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، المكتبة العلمية.

[20]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، في المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، تحقيق: فؤاد علي منصور.

[21]. الصولي، في كتابه أخبار أبي تمام، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

[22]. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، في معاني القرآن، الناشر : دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي نجار، وعبدالفتاح إسماعيل شلبي.
[23]. المبرد، في كتابه الكامل، ومصدر الكاتب: موقع الوراق.
[24]. المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)، في الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء.
[25]. مقال محمود حسن عمر، من فنون البديع، شبكة الألوكة تاريخ التصفح 2017/04/18م.
[26]. النجار، محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى.